

عُمان:

شعب مضياف و حياة هادئة

< تشارلز ستيرلنغ

هناك أسباب كثيرة للسفر. لقد قمت بزيارة عُمان في أواخر كانون الثاني/يناير. وكان بعض أسباب ذلك بساطة الحياة فيها والتي فتنتني لعدّة سنوات. ربما لأنني أعرف القليل عنها. ولكن أيضاً للغوص حول بعض جزرها المرجانية والتي دُمّر بعضها إعصار سابق وهي الآن تتجاوز ذلك. وكانون الثاني/يناير أيضاً ليس من أشهر الحر.



Mosque and fort in Muscat

مسجد وحصن في مسقط

سافرنا بالطائرة إلى مطار مسقط مباشرة من لندن (مطار الغاتوك) مع خطوط الطيران العمانية. وهي وسيلة سهلة للوصول. وجرى بعد ذلك، على الفور، أخذني من قبل مضيافي الموقّت، مركز مسقط للغوص والمغامرة، عبر واحد من الطرق السريعة الجديدة الرائعة في البلاد، إلى منتجع النهضة والحمامات المعدنية، وهو ممّا جعل أمر سفري أكثر سهولة. حياة السفر الميسّرة هذه لا تتيح لك الإتصال بالسكّان المحليين والهدف الرئيسي منها الوصول إلى المقصد. وهكذا، بعد وصولنا واستقرارنا، أخذتنا، أنا وزوجتي، سيارة المنتجع إلى مدينة بركاء الصغيرة المجاورة. ومن خلال التجوّل في الشارع الرئيسي، حاملين



مدينة بركة الموز

Town of Birkat Al-Mawz



Rustaq Fort

حصن الرستق



Acacia tree

نبته صحراوية



مصلّون يغادرون المسجد في حصن الرستق
Worshippers leaving the mosque at Rustaq Fort

هذا البلد. ففي أوائل السبعينيات كان المعبد منها لا يتجاوز بضعة أميال. وأما الآن فهناك طرق جيّدة واسفلتها ممتاز فعلاً. وهي تربط كل النواحي المأهولة. ويتمّ حالياً التوسّع في بنائها. ولكن الخيبة تسيطر عليك إذا ما كان الوصول إلى مكان مهمّ يتمّ

السير مع كامرتنا لأن هناك الكثير مما يحتاج إلى استكشاف. كان اندفاع الظلام قد قصّر من مدّة بقاء الشفق إلى دقائق فقط ولكن أضواء الدكاكين. وأضواء الشوارع القليلة. سمحت للكاميرا بالتصوير. وبقي الأهالي يلقون التحية. فائلين: "مرحبا". ويرغبون في أخذ تصاويرهم والحديث معهم. وكانت الساعة العاشرة والنصف ليلاً. وفي الحادية عشرة جاءت سيارة المنتجع التي تمّ ترتيبها من قبل لتعود بنا. وبدأت بعض المحلات بالإغلاق. وحن الوقت لتناول وجبة سريعة خفيفة وشاي في مقهى آخر. وها نحن قد بدأنا نتعرّف على عمان.

وكانت إقامتنا في (منتجع النهضة) ليضع ليالٍ قبل أسبوع من الغطس بأجهزة التنفّس تحت الماء في منتجع شاطئ السوادي. وكنا بحاجة إلى مزيد من حرية الحركة. فأخذنا سيارة أجرة في رحلة ساعة عائدين إلى مسقط لإجراء محادثات مع مجلس السياحة. ثم لاستئجار سيارة. وسيارة الدفع الرباعي هي الأفضل للإيجار في عمان. حيث أنّ الكثير من الطرق الصحراوية والجبلية غير ممهّدة. ولكن كلفة إيجار سيارة الدفع الرباعي كانت أكثر من ميزانيتنا ولذلك استقرّ رأينا على سيارة صغيرة. والطريق غير المعهود يحتاج إلى سيارة دفع رباعي. ومعدات خاصة. ومهارة حقيقية. وبناء الطرق أمر يثير الإعجاب في

الكاميرا وقاعدتها ذات الثلاثة أرجل على الكتف. بدأنا نكتشف الحياة المحلية. والإلتقاء بالناس. والمحلات التجارية صغيرة. وكثيراً ما تكون متخصصة في منتج واحد. وجلب توقفتنا للنظر في واجهة دكان صاحب المتجر للدردشة والسؤال عن بلدنا. وما رأينا في بلده. وما لدينا من تصورات حول بعض الأخبار وغيرها من الأمور. وقال إنه سيقبل بأن يصوّر. ودعا واحداً من أصدقائه من الشارع ليتّم تصويره معه. وكان الجميع يريدون اختبار إنجليزيتهم. فائلين فقط "مرحبا". وقدّم لنا الشاي. وعدنا إلى السير. ولكن تكرّر الأمر مع دكان آخر قريب. ويبدو أنّ حضورنا كان يسبقنا. فقد كان الرجال بلّوون مرحّبين بنا. وتقوم بعض الأسر بين الحين والآخر بإخراج الأَوْلاد من سياراتهم ليكونوا أمام كاميرتنا.

توقّفنا لتناول الطعام في أحد المقاهي المحلية فقام الفتان على الفور بتنظيم الكراسي البلاستيكية حول الطاوات البلاستيكية. وليجعلوا مقاعدنا في وسطهم. كم رأينا من عُمان؟ كيف هي إنكلترا؟ من نوّيد في لعبة الكريكيت؟ وكانت المحادثات خفيفة وميسّرة. ولما حان الوقت لدفع الفاتورة أصروا على الدفع عوضاً عنّا. وعرضوا علينا إيصالنا إلى محل سكننا إذا ما رغبتنا في ذلك. ولكننا فضّلنا أن نستمر في



Wahiba Sand

رمال الوهية



Al Areesh desert camp

مخيم العريش الصحراوي



Wahiba Sand

رمال الوهية ◀

عن طريق شارع ترابي، والسيارة الصغيرة المستأجرة يفترض فيها أن تستعمل في الشارع المعبد، ولكننا جربناها في النزهة عبر بعض هذه الشوارع الترابية من دون مشكلة تذكر، وذلك عن طريق البقاء فقط على الطرق الترابية الجيدة.

جولات محلية

وعلى مدى الأسابيع القادمة سمحت لنا السيارة بزيارة العديد من القرى الصغيرة، التي تمّت زيارتها مع ترحيب مماثل لما جرى في بركاء. وفي واحدة منها، أخذنا طريقنا من خلال ممرات ضيقة صغيرة إلى تل يطلّ على ضواحيها لإلقاء نظرة عامة، والإطلاع على شبكة المياه التي يغيّنها نبع، وهنا جاءت مجموعة من الأطفال لتحيتنا، فقد هرولوا أولاً ثم توقفوا للتصوير، بعدها هربوا بخجل ليعودوا بعدها بدقائق فقط للإستعداد للتصوير مرّة أخرى. ويبدو أن الفتيات كن يردن أن يصبحن مركز الاهتمام، متباهيات بملابسهن أو أشرطه الشعر، بينما كان الأولاد الصغار يزجروهن ويأمروهن بعدم القبول بالتصوير.

وفي جميع هذه المدن والقرى الصغيرة، وأيضاً في مسقط، كنا نميل إلى تناول

دينية لا يسمح لغير المسلمين بدخولها. وبعضها يمكن الدخول إليه، وبعضها الآخر تأتي أهميته من كونه نصباً شامخاً في السماء، وقلعة نزوى، كما كتب عنها ديريك مكغوروتي في السياحة الإسلامية، العدد 29، هي نموذج جيد لحصن أعيد ترميمه وتطويره لأغراض سياحية.

مياه الشرب

يسقط المطر هنا، ولكن معظمه في الجبال، ويكون في كثير من الأحيان ثقيلًا وقصيراً وبأسرع مما تستطيع الأرض امتصاصه، ولذا يتسبب في فيضانات مفاجئة، والماء مقوم أساسي للحياة، والقرى

وللحصول على أكلة محلية راقية في عمان، بدلاً من الهندية، جرب الشواء في أي مطعم، وهو لحم يطهى في فرن طيني تحت الأرض. ولأن هذه المطاعم تخدم الأسر، هناك غرف مستقلة في الداخل للعائلات حيث تستطيع المرأة الأكل جنباً إلى جنب مع زوجها وأسرته. وكغريتي فإن زوجتي التي كانت ترتدي لباساً محافظاً، لم تعاني من أية مشكلة على الإطلاق، حتى ولو أنها كانت المرأة الوحيدة في المطعم الذي يحتله الرجال.

في الصحراء

الحقيقة أن عمان بلد شديد الحرارة وصحراء جافة، وهو جزء صغير من الصحراء العربية التي تغطي معظم شبه الجزيرة، لقد جربنا جزءاً صغيراً فقط منها، ولكنه جزء يمكن لنا من خلاله التعرف على طريقة تأقلم الأهالي مع بيئتهم، وجوانب من البيئة الرائعة نفسها. وهو أيضاً بلد ذو تاريخ طويل من النزاعات القبلية والأجنبية، ولذا تجد الحصون القديمة بارزة على قمم التلال بالقرب من أي قرية، فهناك أكثر من 3000 حصناً، ويعطي مجلس السياحة والشركات السياحية أهمية كبيرة لها، ومن لم يكن مؤرخاً فسيدهش من كثرتها، ولكن من المستحسن رؤية بعضها على الأقل، الكثير منها تحول إلى مساجد أو مدارس

الطعام في المقاهي الصغيرة، وهي تكاد تكون مؤسسة في حد ذاتها، وموجودة في كل مكان، وتكون عادة في خدمة العملاء المحليين. ويبدو السياح أمراً جديداً لمعظم الأهالي، ولذا فإن الأسعار منخفضة، وكان الطعام جيداً بصفة عامة على الرغم من أن اللحم في المطعم رخيص، ولا تتجاوز كلفته جنبها استرلينياً واحداً، كان صلباً نوعاً ما. والأكلة الهندية، البراتا، الملفوفة حول الدجاج، هي الاختيار الأكثر وثوقاً، ولحم الخروف المسن هو أكثر تنوعاً، ولكنه يستحق المحاولة. أضف إلى ذلك السلطة الطازجة اللذيذة والطماطم والخيار، فتكون قد تناولت وجبة طعام كاملة، جميع الطباخين تقريباً هم من الهنود من ولاية كيرالا، وهم فخورون بطبخاتهم، وأحد المطاعم الذي قمنا بزيارته لأكثر من مرة، طبخ الدجاج مقطّعاً على شكل شرائح، كما تفعل المطاعم الصينية في بريطانيا عندما يشبون البط، واقترن ذلك مع كومة من البراتا المطهية للتو، وسلطة الطماطم والتوابل والتي تقدم في كل مكان. والمقاهي هي معادل للرجال، ولا تكاد ترى امرأة على الإطلاق، وإذا أرادت المرأة الأكل فهي تبقى في السيارة، ويقوم عامل المقهى بالسؤال عن طلبها، ثم يأتي بالأكل إلى السيارة، وهذه الطريقة في تحصيل الأكل في السيارة تستخدم أيضاً من قبل بعض الرجال العمانيين، والذين يتصرفون في بعض الأحيان بطريقة السيّد والخادم.



Fast food

أكلة خفيفة



Tailor at Barka

خياط في بركة



Market stall

دكان



Falaj and Wadi Tanuf

فلج في وادي طنوف

الباردة ويجري تفكيكه في شهور الصيف الحارة، حيث تصل درجة الحرارة إلى خمسين درجة مئوية. وقد بنيت أكواخ مسقوفة بسعف النخيل مخصصة للنوم وأخرى كبيرة للجلوس وتناول الطعام. ومن هنا أخذنا السائق لاستكشاف كثبان رملية إرتفاعها 200 متراً في مخاطرات نجح فيها السائق بقيادة السيارة بشكل لم أكن أعتقد أن السيارة يمكن أن تفعل ذلك. وقدّم لنا بعض الترفيه على الطراز العربي والطعام المحلي العُماني الممتاز، وبتنا ليلة هادئة على أسرة

للنباتات والحيوانات، فتنوّع النباتات والحيوانات في هذه البيئة قليل ويتطلب قابلية عالية للاحتفاظ بالرطوبة. الرياح قد تملأ الجو بالغبار، ولكنها أيضاً تنتج كثباناً رملية مذهلة. إن من النشاطات التي ينبغي القيام بها هو قيادة سيارة الدفع الرباعي فوق كثيب الرمال العالية. توجّهنا إلى قلب الرمال، حيث التقينا براينهيلد ثوملر مالك شركة مخيم العريش الصحراوي. وهذا هو مخيم بدوي عُماني تقليدي مؤقّت ومسقوف، ينشأ للأشهر

الصغيرة غالباً ما تقع في حافة الوديان الجبلية فقط، حيث تتسطح الأرض وتعتمد على الينابيع والأنهار التي يترشح إليها الماء. وتنجم عن ذلك مناظر خلّابة، ولكن ما كنت أريده هو استكشاف العامل التكويني للبلد. وبأخذكم هذا بعيداً عن الطرق السياحية القليلة المعتادة. وتمت بعض هذه الاستكشافات بمعونة مركز مسقط للغوص والمغامرة وباستخدام لاند كرورز. وبعضها الآخر بواسطة سيارة صغيرة استأجرتها.

مررنا بوادي الأبيض بسيارة الدفع الرباعي، فخرج أطفال القرية الصغيرة لتحيتنا ولتبعوننا. توقفت امرأة عن غسل الملابس في النهر، وخرجت أخريات للإشارة بالسلام بخجل. لقد كان توقفاً لطيفاً لكسر الرحلة. ومن الواضح أن السياح لا يأتون هنا إلا نادراً. وعندما وصلنا آخر الوادي، لاحظت لنا المياه دائمة التدفق التي تروي القرية، وحتى أننا لاحظنا سمكة صغيرة في إحدى البرك. يجري هذا الماء تحت الأرض في أكثر مسيره ولكنه يصل القرية بواسطة قناة.

في موقع آخر على طريق نزوي، بالقرب من الطريق الرئيسي، وإلى جانب واحد من الطرق الترابية، وجدنا وادياً فيه قناة قديمة بحالة جيّدة وتمتد لأميال. وقد بنيت بارتفاع عن بطن الوادي لحمايته من السيول. وهذه القنوات هي جزء من نظام الأفلاج الجماعي القديم لتوزيع الموارد المائية النادرة بشكل عادل وعلى مستويات من حيث الأولوية التي تندرج من الشرب، إلى الحمامات العامة، فالغسل، ثم الزراعة. وهناك بلدان أخرى (إيطاليا، وأفغانستان، وأمريكا اللاتينية، الصين، اليابان كوريا، المغرب، وغيرها) تمتلك نظماً مماثلة. أما هنا فهناك أكثر من 3000 قناة لا تزال مستخدمة وبعضها أدمج ضمن مواقع التراث العالمي. يضاف إلى نظام الري هذا عدد من محطات تحلية المياه الجديدة التي يتم حالياً بناؤها على الساحل والتي ترتبط بها شبكة واسعة من أنابيب المياه الجديدة التي يتم تركيبها.

الأودية

تتدفق مياه السيول وتجرف التربة تاركة وراءها الحجارة والحصى، مما ينتج بيئة قاسية

وأقل تكلفة فجرب سوق السيب) ومختلف مراكز التسوق الحديثة، والمعمار الهائل لمسجد السلطان قابوس بن سعيد، والقرى الصغيرة الهائلة. نعم، سأعود مرة أخرى. وهناك كتاب أنصح بقراءته، وهو "سلطنة عُمان عبر الطرق الوعرة" لجيني ووكر وسام أوين، والكتاب مفيد حتى إذا لم تكن جولتكم عبر الطرق الوعرة. وصلت الى عُمان مفتوناً بها ولكن فقط مع معرفة محدودة بالبلاد. والأسابيع التي قضيتها هناك عززت من إفتتاني بها وعلمتني الكثير. ■



Oman Anthias

سمكة عمانية

تأكل وتدمير البيئة مما أدى إلى فرض قيود. إنَّ الأنهار تؤدي في نهاية المطاف إلى البحر وهو أحد أسباب زيارتي للبلد. الغوص في سلطنة عُمان يقاس بمئيله في البحر الأحمر من دون أي ازدحام للغواصين. واهتمامي الخاص هو الشعاب المرجانية التي تضررت بسبب إعصار غونو في حزيران (يونيو) 2007 والتي قالت التقارير إنها في طور النمو تارة أخرى. ولذا توجهت نحو محمية الديمانيات الطبيعية بالقرب من السوادي. وهذه ليست مقالة خاصة بالشعاب ولا بالغوص وأكتفي بالتأكيد أنها في طور النمو، والغطس والغوص كانا جيدين. وإذا كنت تحب عالم ما تحت الماء فهذا موقع يستحق الإهتمام على الأقل. في عُمان الكثير مما ينبغي رؤيته وتجربته للزوار المسلمين وغير المسلمين، نساءً ورجالاً، ففيها طبيعة رائعة، وبيئة مثيرة للإهتمام، والتسوق أيضاً في أسواق مطرح بمسقط (وإذا رغبت في سوق أكثر محلية

مريحة ثم عدنا بالسيارة في اليوم التالي بعد أن ذقنا طعم حياة الصحراء. هناك كثبان رملية أخرى إلى الغرب من مسقط في منطقة الوادي الأبيض قمنا باستكشافها، وهي ليست واسعة كما هو الحال في منطقة آل وهيبة، ولكنها تثير الإعجاب أيضاً. وانتشار الرمال قد يكون أيضاً عاملاً في تشكيل الثقافة شأنه شأن الماء. على جانب التلال الرملية الصغيرة هناك جدران صغيرة، بل أيضاً صخور رملية. وفي جانب الكثبان الكبيرة، هناك بعض النباتات التي تمد جذورها وتظهر منها براعم خضراء. وكما كانت القيادة فوق الكثبان الرملية، وخلال الوديان غير المأهولة، متعة كبيرة، ولما كان عدد الناس الذين يقومون بذلك قليلاً، فلا يتوقع حصول الكثير من الضرر الدائم، ولكن إذا ازداد عدد السياح فمن الممكن أن يحصل ذلك. وحصلت في بعض المناطق الصحراوية في الولايات المتحدة الأمريكية مشاكل



Butterfly fish in Daymaniyat Islands

سمكة الفراشة في جزر الديمانيات